

## نفحات القرآن

[23] الفناء لا يكون أبدياً حتماً ، ومثل هذا الموجود لا يكون أزلياً قطعاً ، وبذلك لا يمكن أن يكون واجب الوجود . انَّ كلَّ مفردة من المفردات التي ذكرت يمكن أن تكون لها القابلية على إستدلال النبي إبراهيم ( عليه السلام ) بها وملاحظته ، ويمكن أن يكون في كلام إبراهيم إشارة طريفة إليها جميعاً . ينقل ( الفخر الرازي ) عن بعض المحقِّقين : انَّ إستدلال إبراهيم من السمو والشمول ما يجعله مورداً لإستفادة الخاصَّة والمتوسِّطين والعوام . أمَّا الخاصَّة فانَّهم يفهمون حقيقة ( الإمكان ) من ( الأُفول ) وكلَّ موجود ممكن هو بحاجة إلى الخالق ، وهذه السلسلة متَّصلة حتَّى تنتهي بالطاهر المنزَّه من الإمكان ولا سبيل إلى ذاته ، كما نقرأ في موضع آخر ( وانَّ إلى ربِّك المُنْتَهَى ) (1) ، وأمَّا المتوسِّطون فانَّهم يفهمون من الأُفول مطلق الحركة وانَّ كلَّ متحرِّكٍ حادث وكلَّ حادث محتاج إلى وجود القديم الأزلي ، وأمَّا العوام فانَّهم يفهمون الغروب من الأُفول ويشاهدون الشمس والقمر والكواكب تمحى وتضمحل عند الغروب وتزول سلطتها وحكومتها ، ومثل هذه الأشياء لا تصلح للألوهية ، إذن جملة ( لا اُحْبُ الأَفْلَينَ ) كلام يستفيد منه ( المقرَّبون ) و ( أصحاب اليمين ) و ( أصحاب الشمال ) وهذا أكمل وأوضح برهان(2). ومن هنا يتَّضح لماذا لم يستند إبراهيم ( عليه السلام ) إلى طلوع هذه الكواكب مع انَّ الطلوع والغروب كلاهما مصداقان للحركة ؟ وذلك لأنَّ ظاهرة الزوال والفناء وإنقطاع الفيض والبركة يشاهد في الغروب تماماً في حين لا يشاهد ذلك في الطلوع . وعليه فإنَّ الفصاحة والبلاغة تقتضيان أن يكون الإعتماد على ( الغروب )

1 - سورة النجم : الآية 42 . 2 - تفسير الفخر الرازي : ج13 ، ص52 .